

ميثاق الصومام (1956)

بين قيم الإسلام والتوجه العلمانيّ

د. اسعيد عليوان

جامعة الأمير محمد القادر

مقدمة:

يعدّ مؤتمر الصومام حدثاً تاريخياً عظيماً في الثورة الجزائرية، ذلك أنّ وضعيّة الثورة قبله كان ينقصها التنسيق، ويميّزها صعوبة الاتصالات وقلة الأسلحة، والصراعات على زعامتها بين جماعتي الداخل والخارج¹، ولقد أزال مؤتمر الصومام هذه الصعوبات، ولكنّه من ناحية أخرى وردت به فقرات جعلت الغموض يحوم حول توجهه الإيديولوجيّ ممّا جعل التصورات منقسمة حياله بين التوجّه العلمانيّ وتبنيّ الإسلام وقيمه، ممّا يدفع الباحث إلى التساؤل: هل قرّر مؤتمر الصومام التوجّه العلمانيّ للثورة ومستقبلها ومستقبل البلاد أم أنّ ما ورد به من تلك الفقرات لا علاقة له بالتوجّه العلمانيّ ممّا يجعله يسير في نطاق الثورة الطبيعيّ المتمثّل في العزم العربيّ الإسلاميّ؟ ولكي نحلّ هذه الإشكاليّة رأينا اعتماد المنهج الجدليّ لأنّه المنهج الملائم لذلك، ويتكوّن من القضية ونفيها والمركّب منهما أو الخاتمة.

¹ - علي كافي، مذكرات علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946-

1962)، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999م، ص105.

أولا القضية:

وتتمثل في تبني التوجّه العلمانيّ وبراهين ذلك كثيرة، نبدأها بأهمها في تصوّرنا وهو الفقرات الواردة في الميثاق التي يفهم منها التوجّه العلمانيّ:

1- نصّ الميثاق على التوجّه العلمانيّ حسب تأويلات العلمانيّين:

لقد نصّ الميثاق على أن حرب الجزائر ليست حرباً دينيّة وأنّ الثورة الجزائرية لا تهدف إلى إقامة نظام ثيوقراطيّ، وذلك أثناء الحديث عن طبيعة الثورة وأهدافها، فورد ما يأتي:

"إنّها ثورة منظّمة وليست تمرّداً فوضويّاً، إنّها معركة وطنيّة تسعى لهدم النظام الفوضويّ الذي ينتهجه الاستعمار، وليست حرباً دينيّة، إنّها مسيرة إلى الأمام في الاتجاه التاريخيّ للإنسانيّة وليست عودة إلى الإقطاع، وهي أخيراً معركة لإحياء دولة جزائريّة تحت كلّ جمهوريّة ديمقراطيّة اجتماعيّة، وليست إقامة نظام ملكي ثيوقراطيّ مندرجاً".

ولقد أعيد الحديث عن نفي أن تكون الثورة الجزائرية حرباً دينيّة أثناء الحديث عن مصير المستوطنين الأوروبيّين بعد الاستقلال: "فليس من هدف

1- ميثاق مؤتمر الصومام، ص4.

الثورة الجزائرية رمي الجزائريين ذوي الأصل الأوربي في البحر، وإنما هدم النير الاستعماري الإنساني، وليست الثورة الجزائرية حرباً أهلية ولا حرباً دينية¹. وإذن مؤتمر الصومام قرّر تبني التوجه العلماني.

2- اعتبار الرئيس الأسبق أحمد بن بلة أن مؤتمر الصومام أول محطة للردة والخيانة:
يقرّر الرئيس أحمد بن بلة أن الولاء للعروبة والإسلام هو الذي صنع الثورة وفجرها ولكنه في مؤتمر الصومام سنة 1956 وقع الانحراف الذي يعدّ حسبه أول محطة للردة والخيانة حيث تمّ فيه الانقلاب على روح الثورة ومنطلقاتها ورجاها والتنصل من انتمائها واتهم المرحوم عبّان رمضان بأنّه كان وراء ذلك الانقلاب لأنّه لم يكن يؤمن لا بالعروبة ولا بالإسلام وأتى في مؤتمر الصومام بكلّ من كانوا ضدّ الثورة ونصبهم أوصياء عليها وقادة لها، وأنّ كلّ المصائب بدأت بعد المؤتمر² وهو ما جعل - حسب بن بلة - زيغود يوسف يصرّح أثناء خروجه من مؤتمر الصومام: "الاستقلال سنحصل عليه لكن الثورة انتهت"³، ويذكر أحمد

1- المصدر نفسه، ص22.

2- بن بلة من قناة الجزيرة: مؤتمر الصومام أول محطة للردة والخيانة، الشروق اليومي، 11/04/

2002، ص1-3.

3- أحمد بن بلة، الشروق الأسبوعي، 18-24 نوفمبر 2002، ص7.

بن بلة أن هناك حاجات أخطر وهي الملاحق التي صدرت عن المؤتمر ولم تنشر ولم يطلع عليها الناس ومنها الطعن في مساندة مصر للثورة¹.

3- اعتبار القيادي التاريخي أحمد مهساس أن تيار مؤتمر الصومام ضد التيار العربي الإسلامي:

يقرر الزعيم التاريخي أحمد مهساس أن تيار مؤتمر الصومام ضد التيار العربي الإسلامي (أو البعد العربي الإسلامي) وينطلق من أن عبّان رمضان هو مهندس، وهو لا يؤمن بالبعد العربي الإسلامي وتمخض هذا المؤتمر عن تبوء أناس مراكز القيادة مثل فرحات عباس، لا يؤمنون بجزائر إسلامية، بل بجزائر متفرنسة ويرى أن أقلية فقط هي التي شاركت في هذا المؤتمر مشكلة من ولاية القبائل الولاية الثانية وتمثيل مزيف من الولاية الرابعة وغابت الولاية الخامسة والأولى وفدرالية فرنسا وقيادة الثورة في الخارج، وإضافة لهذا فإنه سيطر على المؤتمر خمسة أو ستة أشخاص فقط هم الذين كان بيدهم القرار، ويقول مهساس بأنه لديه شريط يتكلم فيه بن طوبال عن مجريات المؤتمر ويقول كان عبّان يأتي بوثائق لم نشارك في تحريرها ويطلب منا التوقيع، ويضيف مهساس أن وسائل الإعلام هي التي ضخمت المؤتمر وزعمت أن عبّان هو مهندس الثورة، كيف يكون مهندسها

¹ - المصدر نفسه، ص 7.

وهو الذي خرج من السجن عام 1955 ولم يكن على علم باندلاعها¹. ويضيف: "عندما صدرت وثائق مؤتمر الصومام أرسلت إلى عبّان رمضان وقلت له: لقد وضعتمونا أمام الأمر الواقع وطلبت منه أن لا تنشر هذه الوثائق حتّى نطلع عليها ونعدل فيها بعض القضايا ويقبلها الجميع حتّى يظهر المؤتمر مؤتمر الكلّ ونحافظ على وحدة الصف.. لكن عبّان لم يترّث وأسرع بنشر الوثائق"². ويضيف ملاحظة مهمّة قائلا: "أنّه إلى شيء، إنّه في السنة الثانية من الثورة اختطف الفرنسيون الطائرة التي كانت تقل الإخوة بالتزامن مع الهجوم الثلاثي على مصر وذلك للقضاء على التيار العربيّ الإسلاميّ في الثورة ويتركّون الثقل الوزن لتيار مؤتمر الصومام، وهذا بالضبط ما حصل، لا يمكن لأيّ مؤرخ سوى أن يصل إلى هذه النتيجة"³.

وهي النتيجة ذاتها التي كاد أن يذكرها أحمد بن بلة بقوله: "والغريب أن بعد مؤتمر الصومام بشهرين أي في أكتوبر 1956 تمّ اختطاف الطائرة التي كانت تقلنا..."³.

1- أحمد مهساس، بن بلة... كشف أسرار التنظيم قبل التعذيب، جريدة اليوم 20/11/2002، ص4.

2- المصدر نفسه، ص4.

3- أحمد بن بلة، الشروق الأسبوعي 18-24 نوفمبر 2002، ص7.

4- اعتبار المؤرخ د/ رابح بلعيد أن مؤتمر الصومام ذو توجه علماني:

فيري أن مؤتمر الصومام من الناحية الحضارية نفس كل جهود الجزائر والحركة الوطنية للنهوض والخروج من الهيمنة الاستعمارية واسترجاع سيادتها وهويتها وهو ما جعل مؤتمر النمامشة يعقد كرد فعل على مؤتمر الصومام وحضرته مناطق سوق أهراس وخنشلة وسدراتة وباتنة¹ وصب جام غضبه على عبّان رمضان مثلما فعل أحمد بن بلة وأحمد مهساس وعلي كافي².

5- تغلغل اليسار الفرنكفوني في الثورة وبعد الاستقلال واستلانه

على كثير من مقاليد الأمور:

بدليل أن مفاوضات واتفاقيات إيفيان كرّست النفوذ الثقافي الفرنسي³، بل أن مجريات جلساتها وكتابة بنودها إنما تمّ فقط باللغة الفرنسية وحدها، وهذا مخالف لطبيعة المفاوضات والاتفاقيات التي تعقد بين

¹- رابح بلعيد، مؤتمر الصومام انحراف وعبّان قتل بن بولعيد وعباس لغرور، جريدة الرأي، 12 نوفمبر 2002، ص5.

²- علي كافي مذكرات، ص121-122-123.

³- ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى ابن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان تعريب لحسن زغدرا وكحل العين جبايلي، ومراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، دط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1948، ص72، 78، وليراجع خاصة ما يتعلق بالتعاون الثقافي بين الجزائر وفرنسا.

الدول فيما بينها أو بين الحركات التحررية والدول المستعمرة لها، ومن الأمثلة على هذا فإن الفيتناميين الذين سبقوا الجزائريين سنة 1954م في محادثات جنيف بينهم وبين الفرنسيين، التي أسفرت عن توقيع اتفاق الاستقلال إنما تم باللغتين الفيتنامية والفرنسية¹، ومحادثات باريس بين الفيتناميين والأمريكان التي تم بموجبها خروج الولايات المتحدة من الفيتنام إنما تم باللغة الإنجليزية والفيتنامية والفرنسية باعتبار الفرنسية لغة الوسيط بين البلدين.

والسبب في ذلك أن اتفاقيات إيفيان أمضاها عن الجانب الجزائري الأقلية الفرنكوفونية كما يذكر عثمان سعدي².

6- موقف العقيد عميروش من الفرنكفونيين الذين التحقوا بالثورة سنة 1956م³.

¹ - عثمان سعدي، التعريب في الجزائر كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكوفونية، دط، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1993م، ص236.

² - المرجع نفسه، ص44، 45.

³ - علي كافي، مذكرات، ص124.

7- استخدام اليسار الفرنكفونيّ مصطلح ثيوقراطيّ للدلالة على مفهوم الدولة في الإسلام:

إنّ اليسار الفرنكفونيّ في الجزائر يستخدم مصطلح ثيوقراطيّ للدلالة على مفهوم الدولة في الإسلام فيعتبر الدولة الإسلامية دولة ثيوقراطية وهذا إلى حد الساعة، مثل RCD والباكس.. وإذن فإنّ مصطلح ثيوقراطيّ الذي استخدمه ميثاق الصومام إنّما هو تعبير عن رفض الإسلام وتبنيّ التوجّه العلمانيّ.

8- تبنيّ العلمانيّين - وعلى رأسهم سعيد سعدي والمهاشمي الشريف - لعَبَّان رمضان باعتباره علمانيّاً¹.

والنتيجة من كلّ ما سبق:

أنّ ميثاق الصومام قرّر التوجّه العلمانيّ ونبذ قيم الإسلام وراءه ظهرياً. ولكنّه إذا كان هذا الاتجاه يقرّر ما سبق فإنّ هناك اتجاه آخر يناقض هذا الاتجاه ويرى أنّ ميثاق الصومام تبنيّ قيم الإسلام وهنا نتوصل إلى نفي القضية.

1- محمد عباس، بن بلة عبّان... ومؤتمر الصومام، الشروق اليومي، 2002/11/19.

ثانيا: نفي القضية:

ويتمثل في تبني قيم الإسلام ونطلق في تحليله ابتداء من النص الذي يورد العلمانيون للدلالة على التوجه العلماني.

1- تحليل نص الميثاق المثير للبس:

أهم ما أثار اللبس فيما يتعلق بمكانة الإسلام في تصوّر محرري وثيقة الصومام أثناء الحديث عن طبيعة الثورة وأهدافها ما يأتي: "إنّها ثورة منظمة وليست تمرّداً فوضوياً - إنّها معركة وطنية تسعى لهدم النظام الفوضويّ الذي ينتجه الاستعمار، وليست حرباً دينية، إنّها مسيرة إلى الأمام في الاتجاه التاريخي للإنسانية وليست عودة إلى الإقطاع، وهي أخيراً معركة لإحياء دولة جزائرية تحت كلّ جمهورية ديمقراطية واجتماعية، وليست إقامة نظام ملكي أو ثيوقراطيّ مندرجاً¹."

ولقد أعيد الحديث عن نفي أنّ تكون الثورة الجزائرية حرباً دينية أثناء الحديث عن مصير المستوطنين الأوروبيين بعد الاستقلال "فليس من هدف الثورة الجزائرية رمي الجزائريين ذوي الأصل الأوروبي "في البحر"، وإنّما

¹ - ميثاق مؤتمر الصومام، ص4.

هدم النير الاستعماريّ الإنسانيّ، وليست الثورة الجزائريّة حرباً أهليّة ولا حرباً دينيّة¹.

و هنا يجب في تصوّرنا أن نحلّل ما ورد في النصّ السابق من قضايا بالغة الأهميّة، وتمثّل في: إحياء دولة جزائريّة، ليست حرباً دينيّة، ليست إقامة نظام ثيوقراطيّ.

1 - إحياء دولة جزائريّة:

يعني أن الدولة الجزائريّة كانت موجودة والاستعمار الفرنسيّ أطاح بها، وإذا فإنّ الثورة الجزائريّة المباركة ليست لإيجاد دولة جديدة، وإنّما هي لإحياء الدولة المطاح بها وإذن فإن ذلك يتمّ في إطار قيمها وإلاّ ما كان إحياء.

2 - حرب الجزائر ليست حرباً دينيّة:

هذا النصّ لا علاقة له باللائكيّة البتّة عكس ما يوهّم به دعاؤها. ذلك أن الحرب الدينيّة لا وجود لها في الإسلام، لأنّها هي ما يقع بين فرق الدين الواحد لأغراض دينيّة كما هو الحال في الصراعات التي نشبت داخل الفرق النصرانيّة.

¹ - المصدر نفسه، ص22.

وكما هو الحال في الصراع الحالي بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا الشماليّة، وهو ما يجعل مفهوم الحرب الدينيّة مصطلحا نصرانيّا محضاً، أمّا الإسلام فإنّ فيه الجهاد لإعلاء كلمة الله وحماية بيضة المسلمين، وهو ليس موجّهاً ضدّ أيّ دين من الأديان، بل موجّه ضدّ ظلم أهل أيّ دين للمسلمين، فهو يقاوم الظالمين منهم دون غيرهم، ولا أدلّ على هذا من أنّ الإسلام يحرم على المسلمين أثناء حروبهم ضدّ أعدائهم المساس ببيع وكنائس أهل الكتاب وصدّهم عن دينهم وإجبارهم على اعتناق الإسلام، كما يحرم مسّ رجال دينهم وأطفالهم ونسائهم ورجالهم الذين لم يشاركوا في العدوان على المسلمين، وكذا المساس بأملاكهم، فالإسلام شرعا يوفر لكلّ هؤلاء الحرّيّة الدينيّة التامة، بل الأكثر من هذا يضمن لهم حرّيّة التقاضي أمام محاكمهم الخاصّة وفقا لشريعتهم، وهذا يعدّ جزءا أساسيا من الشريعة الإسلاميّة التي أجبرتنا فرنسا الكاثوليكيّة على التخلي عنها، وعن قيمها ويليخص ما ذكرناه سابقا وهو ما وقع في التاريخ الإسلاميّ قول الله ﷻ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ إنّما يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ

دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ¹.

ومن هنا فإنّ الذين حرّروا وثيقة الصومام أدركوا هذه الحقيقة، وقرّروا وفقاً لما يقرّره الإسلام أنّ الثورة الجزائرية إنّما هي موجّهة فقط ضدّ الذين استعمرونا وخربوا بلادنا، وذلك بهدف تحريرنا منهم، والدليل على صحّة هذا التصرّو ما بيّنه ميثاق الصومام نفسه، حيث بيّن السبب الذي جعل محرّريه يعلنون أنّ حرب الجزائر ليست حرب دينيّة، ويتمثل في أنّ فرنسا بـسياسيّها وعسكريّها وإكليروسها عملوا على خداع الرأى العام الفرنسيّ والأجنبيّ بتعريفهم للمقاومة الجزائرية على أنّها "حركة دينيّة متعصّبة تخدم الحركة الوحديّة الإسلاميّة"، وعلى رأس هؤلاء كما ورد في الميثاق "بيدو ولاكوست وسوستنان والكاردينال فلتان" واعتبروا أنّ عملهم هذا خيانة وانحطاط وبيّن الميثاق أنّ الصراع في الجزائر ليس بين الفئات الدينيّة التي تسكن الجزائر أي المسلمين واليهود والنصارى وإذن ليست حرباً دينيّة.

¹ - المتحنة الآية: 8، 9.

وإنما بين أنصار الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية من جهة، وبين المستعمرين ومسانديهم مهما كانت دياتهم أو وضعهم الاجتماعي، وبرهنوا على صحة تصوّرهم بما يناله رجال الدين الخونة من عقاب قاسي داخل المساجد نفسها، وإذن فإنّ النصّ السابق "حرب الجزائر ليست حرباً دينية" لا يعني أبداً البعد عن الإسلام وقيمه، بل هو نابع من روح الإسلام وقيمه كما بيّنا.

والنتيجة التي نتوصل إليها أنّ حرب الجزائر إنّما كانت جهاداً ضدّ - فقط - الذين استعمرونا وظلمونا، ولا أدل على صحة هذا من أنّ مؤتمر الصومام احتوى على فصل موجّه لليهود المقيمين بالجزائر، وآخر موجّه للنصارى المقيمين بالجزائر يدعوهم إلى التعاون مع الثورة للقضاء على الظلم الاستعماري وهو ما ينسجم تماماً مع الآية السابقة.

3 - ليست إقامة نظام ثيوقراطي:

يحسن بنا هنا أن نحدّد مفهوم ثيوقراطي ليتّضح لنا المقصود منه.

معنى ثيوقراطية (Théocratie):

هي يونانية الأصل، مركبة من لفظين هما: "ثيوس" بمعنى الله، و"كراتوس" بمعنى القوة أو السلطان¹ وهي نظرية قديمة تتلّصق بنشأة الدولة تقوم على الاعتقاد بأن الدولة من خلق الله وأنّ الحكام يستمدون مكانتهم باعتبارهم يمثلون العناية الإلهية. فتستمد الدولة شرعيتها من اعتبارها النظام القدسي الذي فرضه الله لتحقيق الغاية من الحياة الاجتماعية، ويستمدّ الحكام شرعيتهم من الزعم بأنّ الله هو الذي اختارهم لينفذوا أوامره على الأرض وهو ما يوجب الطاعة المطلقة لهم وهي نظرية كنسيّة في جوهرها ازدهرت خلال القرون الوسطى وبعدها في الغرب المسيحي² وهو ما جعل تولّيهم السلطة لا يتمّ إلاّ بعد أن تقوم الكنيسة بالطقوس الخاصة بذلك ممّا أدّى إلى ظهور فكرة أنّ الملوك والأمراء إنّما هم في الحقيقة مفوضون من قبل الله في الحكم. وتتمثّل خطورة هذه النظرية في التسليم أنّ السلطة روحية في أصلها ومنشأها وهو ما يحطّم مبدأ مسؤوليّة الحكام أمام المحكومين³.

1 - عبد المنعم الحفني: المعجم الفلسفي، ص70.

2 - علي عبد المعطي محمد، محمد علي محمد: السياسة بين النظرية والتطبيق، ط، دار الجامعات

المصرية الإسكندرية: 1976م، ص307، 308.

3 - المرجع نفسه، ص310، 311.

وخلاصة هذه النظرية " أن الدولة من خلق الله وهو الذي يختار الملوك مباشرة لحكم الشعوب، بإرادته فوق إرادة البشر، ومن يصطفيهم الله لحكم شعوبه يمدهم بروح منه ويجب على شعوبهم الطاعة المطلقة لهم، وأن هؤلاء الملوك غير مسؤولين عن أفعالهم أمام شعوبهم، وكانت هذه النظرية أساس حكم الملوك في أوروبا في القرنين 17 و 18 ولاسيما في فرنسا وإنجلترا، بل وظلت في بعض الدول الأوروبية إلى أوائل القرن العشرين كألمانيا¹ مثلاً، وأساس هذه النظرية التي تبناها النصارى كما ذكرنا ما أورده بولس في رسالته إلى الرومان³ قائلاً: "لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة... لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط، بل أيضاً بسبب الضمير، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً إذ هم خدام الله

1 - محمد كامل ليله: النظم السياسية الدولة والحكومة، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971، ص 74-75.

2 - ومن ذلك فقط خطب إمبراطورها غليوم الثاني قبيل الحرب العالمية الأولى قائلاً: بأنه يستمد سلطته من الله الذي اختاره ممّا يجعله لا يحفل برأي عام أو برلمان (المرجع نفسه ص 76).

3 - فؤاد محمد شبل: الفكر السياسي دراسات مقارنة للمذاهب السياسية والاجتماعية، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1974، ج 1، ص 164.

مواظبون على ذلك بعينه، فأعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف¹، ويظهر الغرض الاستعماريّ بجلاء في هذا النص، وهنا نتوصل إلى أن النظام الثيوقراطي لا علاقة له بمفهوم الدولة في الإسلام، ونتحدّى أيّ إنسان أن يأتينا بورود هذا المصطلح في التاريخ الإسلاميّ كلّ، أو في كتب الفقه أو السياسة الشرعيّة، وإنّما هو مصطلح كنسيّ ذو علاقة بمفهوم الدولة وفقاً لتصور الكنيسة. وأمّا الإسلام فإنّ الدولة فيه تسمى الإسلاميّة، حاكمها مدني، أي ليس معصوماً، بل يخضع كما تخضع جميع الرعيّة للشرعية الإسلاميّة، ويكفي أن نعرف أنّ نظام الخلافة عند المسلمين رغم أنّه كان يتضمن رئاسة الخليفة لأمر الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ، كما هو حال الخلفاء الراشدين، إلّا أنّ الخليفة لم يكن يستمدّ سلطته من الله، بل من الأمّة، إذ هي التي تختاره للمنصب وتعضده²، وذلك بواسطة البيعة وهو يصيب ويخطئ والأمّة تقوم إغواجه إن وجد.

ومن هنا فلو نصّ مؤتمر الصومام على إقامة دولة ثيوقراطيّة لكان ذلك مهزلة ما بعدها مهزلة.

1 - رسالة بولس إلى أهل رومية، إصحاح 71/13.

2 - محمد كامل ليله: المرجع السابق، هامش، ص 75.

نضيف إلى ما سبق أن مؤتمر الصومام ذو طابع استراتيجي ويظهر هذا جليا من بنوده ففيه جوانب موجهة إلى الشعب الجزائري بمختلف اتجاهاته الفكرية والسياسية، وجانب موجه إلى الأوروبيين المقيمين بالجزائر وهم نصارى، وجانب موجه إلى اليهود المقيمين بالجزائر، وجانب موجه إلى فرنسا الاستعمارية، وجانب موجه إلى ما يسمى اليوم الشرعية الدولية. فهل يعقل أن يقول مؤتمر الصومام لليهود والنصارى: ساعدونا لإقامة دولة ثيوقراطية؟ إن خطاب مؤتمر الصومام يحمل طابع الإستراتيجية التي يبحث أصحابها عن كسب أنصار لا فقدان أصدقاء، ويؤكد هذا الفهم ما أورده ميثاق مؤتمر الصومام نفسه من: "تقرير رفض الفرنسية وإرجاع المكانة للغة العربية والإشادة بجمعية العلماء وإعادة الاعتبار للدين الإسلامي".

وذلك أثناء الحديث عما نتج عن مؤتمر باندونغ والدورة العاشرة للأمم المتحدة من انتصار للقضية الجزائرية، فيقول الميثاق: «إن الجزائريين لم يقبلوا أبدا (الفرنسية)... فقد عمد المستعمر إلى خنق اللغة الوطية التي يتكلمها الأغلبية الساحقة من المواطنين — أي اللغة العربية، وقد اختفى تعليمها العالي منذ بداية الغزو بتشتيت الأساتذة والتلاميذ، وقفل الجامعات وهدم المكتبات وسرقة التبرعات الدينية، كما تدنس الدين

الإسلاميّ وأخضع رجاله الذين كانت تختارهم الإرادة الاستعماريّة وتجازيهم، وقد حاربت الإمبرياليّة الفرنسيّة الحركة التقدميّة لجمعيّة العلماء بتوفير كلّ دعمها لخرافات الأولياء المرابطين الذين تمّ تسخيرهم عن طريق إرشاء بعض رؤساء الطوائف»¹.

وقد أورد التقرير في هذا السياق مباشرة السبب الذي جعل محرّري الميثاق يعلنون أنّ حرب الجزائر ليست حرباً دينيّة، ويتمثّل في أنّ فرنسا سياسيّتها وعسكريّتها وإكليروسها عملوا على خداع الرأى العام الفرنسيّ والأجنبيّ بتعريفهم للمقاومة الجزائريّة على أنّها حركة دينيّة متعصّبة تخدم الحركة الوحدويّة الإسلاميّة، وعلى رأس هؤلاء كما ورد في الميثاق: "بيدو، ولاكوست، وسوستان، والكردينال فلتان"، واعتبر الميثاق أنّ هذه خيانة وانحطاط وبيّن الميثاق أنّ الصراع في الجزائر ليس بين الفئات الدينيّة التي تسكن الجزائر - أي المسلمين واليهود والنصارى - وإذن ليست حرباً دينيّة، وإنّما بين أنصار الحرّيّة والعدالة والكرامة الإنسانيّة من جهة، وبين المستعمرين ومسانديهم مهما كانت ديانتهم أو وضعهم الاجتماعيّ.

¹ - ميثاق مؤتمر الصومام: ص 27.

وبرهن الميثاق على صحّة هذا التصرّو بما يناله رجال الدين الخونة - من المسلمين - من عقاب قاسي داخل المساجد نفسها¹ ولا أدلّ على صحّة تصوّرنا من إشادة النص السابق بجمعية العلماء واعتبارها حركة تقديميّة. وكان الميثاق قد أشاد بها قبلا بسبب انضمامها للثورة واعتبر انضمامها موقفا شجاعا²، وهكذا أشاد بها مرّتين.

نضيف إلى ما سبق للبرهنة على صحّة تصوّرنا ما يأتي:

2- فهم فرنسا لطبيعة قيم الثورة الجزائرية:

لقد فهمت فرنسا طبيعة قيم الثورة الجزائرية كما هي تلك القيم، وهو ما جعلها تفرض فيما يتعلّق بالفرنسيين المقيمين في الجزائر أن يتمّ التعامل معهم باللغة الفرنسية وأن تضمن لهم حق التعامل بها- رغم كونهم جزائريين خاضعين للقانون المدني العام- في الحياة السياسيّة والإداريّة والقضائيّة وأن تخصص الإذاعة والتلفزيون جزاء من برامجها بالفرنسيّة³،

1 - المصدر نفسه: ص 27.

2 - المصدر نفسه: ص 4 .

3 - بن يوسف بن خدة: اتفاقيات إفيان، الفصل 2، ج 2، بند 10، أج د هـ، ص 90-92.

وبرهن الميثاق على صحّة هذا التصوّر بما يناله رجال الدين الخونة - من المسلمين - من عقاب قاسي داخل المساجد نفسها¹ ولا أدلّ على صحّة تصوّرنا من إشادة النص السابق بجمعية العلماء واعتبارها حركة تقديميّة. وكان الميثاق قد أشاد بها قبلا بسبب انضمامها للثورة واعتبر انضمامها موقفا شجاعا²، وهكذا أشاد بها مرتّين.

نضيف إلى ما سبق للبرهنة على صحّة تصوّرنا ما يأتي:

2- فهم فرنسا لطبيعة قيم الثورة الجزائرية:

لقد فهمت فرنسا طبيعة قيم الثورة الجزائرية كما هي تلك القيم، وهو ما جعلها تفرض فيما يتعلّق بالفرنسيين المقيمين في الجزائر أن يتمّ التعامل معهم باللغة الفرنسية وأن تضمن لهم حق التعامل بها - رغم كونهم جزائريين خاضعين للقانون المدني العام - في الحياة السياسيّة والإداريّة والقضائيّة وأن تخصص الإذاعة والتلفزيون جزاء من برامجها بالفرنسيّة³،

1 - المصدر نفسه: ص 27.

2 - المصدر نفسه: ص 4 .

3 - بن يوسف بن خدة: اتفاقيات إفيان، الفصل 2، ج 2، بند 10، أج د هـ، ص 90-92.

وأما الفرنسيون الذين يقيمون في الجزائر بصفة أجنبية فإنهم قرّروا بأن يخضعوا لقانون الأحوال الشخصية الفرنسي بما في ذلك نظام الميراث¹.

3- عدم تغير مصطلحات الثورة: فالجهاد والمجاهدون والكفار ظلّت هي المصطلحات المستعملة بعد المؤتمر بل المؤتمر نفسه استخدمها.

4- وضع ميثاق الصومام في سياقه التاريخي:

مما يمكننا من فهمه أكثر وإدراك مراميّه وأبعاده هو وضعه في سياقه التاريخي بين بيان أول نوفمبر وبرنامج طرابلس.

أ- بيان أول نوفمبر: حدّد بيان أول نوفمبر فيما يتعلّق بقيم الإسلام ثلاث قضايا جوهرية هي ما يبيّن محتوى الثورة وهويتها هي:

- العمق الحضاري المتمثّل في العروبة والإسلام ووجوب تعميقه في إطارهما.
- إعادة إحياء الدولة الجزائرية المستقلة في وطنها المعروف بإظهار التمايز بينها وبين فرنسا في كلّ شيء.
- هويّة الثورة وهدفها الجوهريّ ضمن الهوية في الإسلام².

1 - المصدر نفسه، ص 102-103.

2 - نداء أول نوفمبر 1954م، الأمانة الوطنية لجبهة التحرير الوطني الكتابة العامة.

ب- برنامج طرابلس: قرّر برنامج طرابلس أن الثقافة الجزائرية أساسها اللغة العربية وحدها وأنها هي التعبير الكامل عن القيم الثقافية لبلادنا وكرامتها وفعاليتها كلغة حضارية الخ، وهو ما جعله يقرّر التعريب¹.

وأما ما يتعلق بالإسلام فقد قرّر برنامج طرابلس رفض العلمانية المتمثلة في حصر الإسلام داخل المسجد وقرّر الانتماء إلى الحضارة الإسلامية وأن الإسلام يجب أن يتجسّد بجانب الناحية الدينية ذاتها في عاملين أساسيين: الثقافة والشخصية²، وهذا يعني أن الإسلام نظام حياة لأن الثقافة بالمفهوم الأنثروبولوجي تشمل كلّ ظاهرة من ظواهر المجتمع ناهيك عن الشخصية إذا تجسّد فيها الإسلام.

5 - دساتير الجزائر كلّها تنصّ على أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية هي اللغة الرسمية.

6 - قانون الأسرة.

وكل هذا ينفي التوجه العلمانيّ

¹ - برنامج طرابلس، ص18.

² - المصدر نفسه، ص18-19-27.

والنتيجة ثَمَّ سبق:

أنَّ ميثاق الصومام تبنَّى قيم الإسلام.

وهنا نتوصَّل إلى المركب من القضية ونقيضها ويتمثل في خاتمة البحث.

ثالثاً: خاتمة البحث

من خلال البحث نتوصَّل إلى مجموعة من النتائج هي:

- مهما قيل في مؤتمر الصومام فإنَّه يعد في تصوُّرنا ذا أهميَّة بالغة في تاريخ الثورة تنظيمًا وتنسيقًا واستراتيجيَّةً ثَمَّ يجعله نقلة نوعيَّة لها لتأخذ طابع الشموليَّة المنظمة والبعد الدولي.
- تصريحات الرئيس الأسبق أحمد بن بلة والزعيم أحد مهساس وغيرهما ثَمَّ يصبُّ في نفس الاتجاه نتمنها ونعتبرها ذات قيمة تاريخيَّة لا تضاهي ولكننا لا نجعلها حكماً على عبَّان رمضان الذي لا زلنا نعهده مجاهداً كبيراً، والقضيَّة لا زالت لم تنضج بعد وعندما تنضج سيصدر التاريخ حكمه، أمَّا اعتباره يسارياً فهو أمر مطعون فيه، فقد نصَّ علي كافي حرفياً قائلاً: "لم يكن لعبَّان رمضان توجه يساريّ وليس له هواجس فكريَّة"، كما بيَّن محمد عباس أنَّه لم يكن علمانيّاً رغم زعم سعدي

1- علي كافي، مذكرات، ص 121، 122

والهاشمي الشريف علمانيته¹، وعندما نعلم أنه هو الذي أدخل الشيخ خير الدين إلى الثورة كما بين الشيخ خير الدين نفسه² نزداد يقيناً بأن عبّان لم يكن علمانياً ولا يسارياً ولا خائناً.

- سيطرة الاتجاه الفرڪفونيّ بعد المؤتمر ليس راجعاً في تصوّرنا إلى بنود ميثاق الصومام بل راجع إلى عوامل أخرى ليس هنا مجال ذكرها، ولكنّه لا أحد ينكر بأنّ اليسار الفرڪفونيّ فتح له المجال بعد المؤتمر وكلّ الناس تعرف ماذا فعلوا ويفعلون.

- ما ورد في مؤتمر الصومام من الفقرات التي ذكرناها لا يطعن في إسلاميّة الثورة ولا في توجّدها ولا أدلّ على هذا من أنّ أدبياتها ظلت بعد المؤتمر هي هي.

- إقحام تلك الفقرات في تصوّرنا كان خطأ لأنّه ما الفائدة من إقحامها؟ هل طمأنة المعمرين؟ وهل هناك فائدة في طمأنتهم؟ إنهم ألد

1- محمد عباس الشروق اليومي، 2002/11/19، ص5.

2- خير الدين، مذكرات، دط، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ج2، ص171.

أعداء الإسلام والثورة والوطن ولولا الجهاد ما خرجوا، ولقد جلب
إقحامها مضرة، وهامهم قناصوا الثورات يستغلونها أبشع استغلال لتحطيم
أسس المجتمع الجزائري من الجذور.

- الثورة الجزائرية إسلامية في روحها وشكلها، وفقا لطبيعة المجتمع
الجزائري آنذاك.

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب.

أعداء الإسلام والثورة والوطن ولولا الجهاد ما خرجوا، ولقد جلب
إقحامها مضرة، وهاهم قناصوا الثورات يستغلونها أبشع استغلال لتحطيم
أسس المجتمع الجزائري من الجذور.

- الثورة الجزائرية إسلامية في روحها وشكلها، وفقا لطبيعة المجتمع
الجزائري آنذاك.

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب.